

الرَّسَالَةُ ٤٣

أَنَا بُولُسُ كَتَبْتُ بِيَدِي.. أَنَا أَوْفِي

(Arabic - I, Paul am writing this with my own hand: I will pay it back.)

أَحْبَائِي.. حَدِيثَنَا الْيَوْمَ مَوْضُوعُهُ ذَلِكَ النَّصُّ الْكِتَابِيُّ: أَنَا بُولُسُ كَتَبْتُ بِيَدِي.. أَنَا أَوْفِي
وَمِنْ رِسَالَةِ بُولُسِ الرَّسُولِ إِلَى فُلِيمُونَ نَقْرَأُ الْعَدَدَيْنِ الثَّامِنَ عَشَرَ وَالتَّاسِعَ عَشَرَ:

"ثُمَّ إِنْ كَانَ ظَلَمَكَ بِشَيْءٍ أَوْ عَلَيْهِ دَيْنٌ.. فَاحْسِبْ ذَلِكَ عَلَيَّ.. أَنَا بُولُسُ كَتَبْتُ بِيَدِي.. أَنَا أَوْفِي."^١

إِنَّ الْمِحْوَرَ الَّذِي تَدُورُ حَوْلَهُ رِسَالَةُ بُولُسِ الرَّسُولِ الَّتِي كَتَبَهَا إِلَى فُلِيمُونَ هُوَ قِصَّةُ عَبْدٍ يُسَمَّى أَنْسِيمُوسَ..
كَانَ يَعْمَلُ فِي بَيْتِ فُلِيمُونَ وَهُوَ مِنْ مَدِينَةٍ تَدْعَى كُولُوسَى.. وَيَبْدُو مِنَ الرِّسَالَةِ أَنَّ فُلِيمُونَ انْتَمَنَ عَلَى بَيْتِهِ وَمَالِهِ
فَإِذَا بِهَذَا الْعَبْدِ يَخُونُ الْأَمَانَةَ وَيَسْرِقُ مَالاً مِنْ بَيْتِ فُلِيمُونَ ثُمَّ يَلُودُ بِالْفِرَارِ مُغَادِرًا كُولُوسَى إِلَى رُومًا. وَهَنَّاكَ يَتَقَابَلُ
مَعَ بُولُسِ الرَّسُولِ الْأَسِيرِ.. فَيُحَدِّثُهُ بُولُسُ عَنِ النِّعْمَةِ الْمُخْلِصَةِ وَيَصْبِحُ أَنْسِيمُوسُ خَلِيفَةً جَدِيدَةً فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ.

وَلَقَدْ كَتَبَ بُولُسُ الرَّسُولُ عَنِ أَنْسِيمُوسَ فِي رِسَالَتِهِ إِلَى مَوْمَنِي كُولُوسَى هَذِهِ الْكَلِمَاتُ: "أَنْسِيمُوسُ الْأَخُ
الْأَمِينُ الْمَحْبُوبُ!".. وَقَدْ نَتَسَاءَلُ: أَمَا كَانَ أَنْسِيمُوسُ سَابِقًا "لِلصَّ الْخَائِنِ الْهَارِبِ؟!". لَا عَجَبَ.. فَهَذَا عَمَلٌ نِعْمَةٌ
اللَّهِ الْمُتَقَاذِلَةُ الَّتِي تَغَيَّرُ لِلصَّ الْخَائِنِ إِلَى أَخٍ فِي الْمَسِيحِ "أَمِينٌ وَمَحْبُوبٌ!". وَهَذَا يَدْعُونَا إِلَى التَّأَمُّلِ فِي تِلْكَ
الرِّسَالَةِ الْفَرِيدَةِ الَّتِي كَتَبَهَا بُولُسُ الرَّسُولِ فِي أَصْحَاحٍ وَاحِدٍ إِلَى "فُلِيمُونَ الْمَحْبُوبِ الْعَامِلِ مَعَهُ". الَّتِي فِيهَا يُسَجَّلُ
تَعَهُدًا بِدَفْعِ دَيْنِ نِيَابَةِ عَنِ لَصِّ خَائِنٍ لِلْأَمَانَةِ قَدْ تَقَابَلَ مَعَهُ فِي أَحَدِ سُجُونِ رُومًا!^٢

كَانَ بَيْتُ فُلِيمُونَ مِنْ أَفْضَلِ الْبَيْتِ الْمَسِيحِيَّةِ فِي عَهْدِ الْمَسِيحِيَّةِ الْأَوَّلِ.. وَخَيْرَ بَيْتَةٍ يَتَمَنَّاها الْمَرْءُ لِيَتَعَرَّفَ
عَلَى الرَّبِّ يَسُوعَ الْمُخْلِصِ.. وَخَيْرَ بَيْتَةٍ لِلْمُؤْمِنِ الْحَدِيثِ لِيَنُمُوَ فِي النِّعْمَةِ وَمَعْرِفَةِ الرَّبِّ.. كَانَ فُلِيمُونَ رَجُلًا اللَّهُ
بِحَقٍّ.. وَكَانَ فِي بَيْتِهِ كَنِيسَةٌ يَجْتَمِعُ فِيهَا الْمُؤْمِنُونَ لِلْعِبَادَةِ وَالصَّلَاةِ وَدِرَاسَةِ الْمَكْتُوبِ.. وَلِلتَّمَتُّعِ بِالشَّرِكَةِ الرُّوحِيَّةِ
وَالْمُودَةِ الْأَخُوِيَّةِ.. كَتَبَ بُولُسُ الرَّسُولُ مُخَاطِبًا فُلِيمُونَ فِي رِسَالَتِهِ لَهُ بِالْقَوْلِ: "لِأَنَّ لِي فِرْحًا كَثِيرًا وَتَعَزِيَةً بِسَبَبِ
مَحَبَّتِكَ لِأَنَّ أَحْشَاءَ الْقَدِيسِينَ قَدْ اسْتَرَاخَتْ بِكَ أَيُّهَا الْأَخُ!". وَكَتَبَ أَيْضًا يَقُولُ لِفُلِيمُونَ: "سَامِعًا بِمَحَبَّتِكَ وَالْإِيمَانَ
الَّذِي لَكَ نَحْوَ الرَّبِّ يَسُوعَ".. مَا أَجْمَلَ كَنِيسَةً تَضُمُّ رَجَالًا أَمْثَالَ فُلِيمُونَ تَسْتَرِيحُ بِهِمْ أَحْشَاءُ الْقَدِيسِينَ.

لَقَدْ كَانَ شِعَارُ الْكَنِيسَةِ الَّتِي فِي بَيْتِ فُلِيمُونَ هُوَ قَوْلُ الرَّبِّ يَسُوعَ لِتَلَامِيذِهِ: "بِهَذَا يَعْرِفُ الْجَمِيعُ أَنْكُمْ
تَلَامِيذِي إِنْ كَانَ لَكُمْ حُبٌّ بَعْضًا لِبَعْضٍ".. يَقُولُ بُولُسُ الرَّسُولُ لِفُلِيمُونَ: "سَامِعًا بِمَحَبَّتِكَ".. يَا لَهَا مِنْ سُمْعَةٍ طَيِّبَةٍ
تَمْتَعُ بِهَا فُلِيمُونَ!. وَمَا أَرْوَعَ الْكَلِمَاتُ: "لِأَنَّ أَحْشَاءَ الْقَدِيسِينَ قَدْ اسْتَرَاخَتْ بِكَ أَيُّهَا الْأَخُ!". كَانَتْ هَذِهِ الرِّسَالَةُ
مُوجَّهَةً أَيْضًا إِلَى الْكَنِيسَةِ الَّتِي فِي بَيْتِهِ.. كَانَ فُلِيمُونَ يَتَمَتُّعُ بِسُمْعَةٍ طَيِّبَةٍ لِأَنَّ قَلْبَهُ كَانَ عَامِرًا بِالْمَحَبَّةِ لِلْإِخْوَةِ
وَالْإِيمَانَ بِالرَّبِّ يَسُوعَ وَبِكَنِيسَةٍ تَضُمُّ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ فِي بَيْتِهِ.^٣

لَيْسَ بِالْأَمْرِ الْعَسِيرِ أَنْ يَكُونَ فِي بَيْتِ كُلِّ مُؤْمِنٍ كَنِيسَةٌ طَالَمَا هُنَاكَ مَا أُشَارَ إِلَيْهِ بِبُولُسِ الرَّسُولِ فِي
رِسَالَتِهِ إِلَى فُلِيمُونَ بِقَوْلِهِ: "سَامِعًا بِمَحَبَّتِكَ وَالْإِيمَانَ الَّذِي لَكَ نَحْوَ الرَّبِّ يَسُوعَ".. فَالْمَحَبَّةُ وَالْإِيمَانُ هُمَا الْأَسَاسُ
الصَّحِيحُ لِكَنِيسَةِ الْمَسِيحِ الَّتِي نَقِيمُهَا فِي بِيوتِنَا.. لِأَنَّهُ إِذَا امْتَلَأَ الْقَلْبُ بِهُمَا اسْتَطَعْنَا أَنْ نَجْعَلَ مِنَ الْبَيْتِ كَنِيسَةً
لِلْمَسِيحِ.. كَانَتْ جَمَاعَةُ الْمُؤْمِنِينَ فِي كُولُوسَى تَجْتَمِعُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ فِي بَيْتِ فُلِيمُونَ.. يَحْضُرُونَ إِلَيْهِ "وَيَرْفَعُونَ
الطَّلِبَاتِ فَتَاتِيهِمُ الْبَرَكَاتُ".. وَلَكِنْ هَلْ يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ كَنِيسَةٌ فِي بَيْتِ فُلِيمُونَ مَا لَمْ تَكُنْ زَوْجَةً فُلِيمُونَ نَقِيَّةً كَزَوْجِهَا

استمع إلى الإنجيل

^١ رسالة بولس الرسول الأولى إلى فليمون ١٨ - ١٩

^٢ رسالة بولس الرسول الثانية إلى مؤمنى كورنتوس ٥: ١٧

^٣ إنجيل يوحنا ١٣: ٣٥ & ١: ٥١

مُعَضَّة لِعَمَلِ الرَّبِّ؟. بكلِّ تأكيدٍ يَتَعَذَّرُ الأَمْرُ.. "فَأَيُّ نَصِيبٍ لِلْمُؤْمِنِ مَعَ غيرِ الْمُؤْمِنِ؟!". حسب ما جاء برسالة بولس الرسول الثانية إلى مؤمنى كورنثوس الأصحاح السادس العدد الخامس عشر.

كان أنسيموس يَعيشُ في بيتِ فليمون في كولوسى قبلَ تَقَابُلِهِ مَعَ بولس في أحدِ سجون روما.. وكَمَا أسلفنا القول أن فليمون ائْتَمَنَهُ على شُئُونِ بَيْتِهِ.. يَأْكُلُ وَيُشْرَبُ مَعَهُمْ وَيُشَارِكُ في اسْتِقْبَالِ رجالِ الله القَدِيسِينَ وَيَقومُ بِخِدمَتِهِمْ مُتَمَتِّعاً بِصُحْبَتِهِمْ.. وربما شارَكَهُمُ العبادة مُرْناً مَعَ المُرنِّمينَ أو مُصلِّياً مَعَ المُصلِّينَ.. وربما اشْتَرَكُ في العَطَاءِ والتَّوزِيعِ على المُحتَاجينَ.. وربما أسنَدَ إليه فليمون الإشرافَ على أمانةِ الصَّنَدوقِ للكنيسةِ التي في بَيْتِهِ.

ربَّما سَمِعَ أنسيموس عِظَاتٍ مُتَعَدِّدَةً واختباراتٍ مُتَّوَعَةً لمُؤْمِنينَ أَتْقِيَاءَ عَرَفُوا خِلاصَ الرَّبِّ يَسُوعَ.. ولا شكَّ أَنَّهُ سَمِعَ اختِبارَ فليمون.. وكيفَ تَغَيَّرَتْ حَيَاتُهُ بِمَعْرِفَةِ الرَّبِّ يَسُوعَ المسيحِ ابنِ اللهِ الحَيِّ بِتَشْيِيرِ بولس الرسولِ الذي يَكْتِيبُ له الرِّسالةَ وهو مَقِيدٌ في سِلاسلِ أسيرٍ في روما.. قد نَتَسَاءَلُ: لماذا لمَ يَحْصُلْ أنسيموسُ على شَيْءٍ رِغمَ كُلِّ تلكِ البركاتِ التي كانتَ تحيطُ بِهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ؟!.. لقد كانَ في بَيْتِ صَفوةٍ مِنْ رجالِ اللهِ الأَتْقِيَاءِ؟!.. الجوابُ: لأنَّ شهوةَ المَالِ أَعْمَتْ عَيْنِيهِ وَأَغْلَقَتْ بَصِيرَتَهُ!.. أوليسَ "مَحَبَّةَ المَالِ أصْلاً لِكُلِّ الشُّرُورِ الذي إِذِ ابْتِغَاهُ قَوْمٌ ضَلُّوا عَنِ الإِيمَانِ وطَعَنُوا أَنفُسَهُمْ بِأَوْجَاعٍ كَثِيرَةٍ؟!". لقد سَرَقَ أنسيموسُ مِنْ بَيْتِ فليمونِ ما سَرَقَ وَهَرَبَ إلى روما وهناكَ ضَاعَ المَالُ المَسْرُوقُ.. أنفقَهُ أنسيموسُ فيما يُنْفِقُ الأَشْرارُ أَمْوَالَهُمْ وجاءَ وَقْتُ الحِسرَةِ والنَّدَمِ.^١

أَتَصَوِّرُ أنسيموسُ في جَحِيمِ البِئْسِ والضِياعِ لولا أَنَّهُ عادَ بِذِكْرَتِهِ إلى بِلَدَتِهِ كولوسى ثم إلى بَيْتِ فليمونِ ثم إلى الكنيسةِ التي في بَيْتِهِ ثم إلى اختِبارِ فليمونِ.. حَرَكْتُهُ أَشْواقُ قَلْبِهِ كى يَرى بولسَ الأَسيرِ.. فَشَعَرَ بِحَاجَةٍ مُلْحَةٍ إلى مَنْ يَنْقِذُهُ مِنْ أَتُونِ عَذَابِهِ.. وبيدَا رُوحُ اللهِ يَتَعَامَلُ مَعَ أنسيموسِ.. لقد أعانَهُ بولسُ على مَعْرِفَةِ الرَّبِّ وبِاختِصارٍ قامَ بولسُ بِدَوْرِهِ في تَوْصِيلِ رِسالةِ الخِلاصِ لِذلكِ اللِّصِّ الخائِنِ الهارِبِ.. وهنا يَعْرِفُ أنسيموسُ الرَّبَّ يَسُوعَ الذي أَحَبَّ الخِطَاةَ وبذلَ دَمَهُ على الصَّليبِ مِنْ أَجلِ خِلاصِهِمْ وتَحْرِيرِهِمْ.. ورأى أنسيموسُ في بولس الرسولِ صُورَةَ صَادِقَةٍ لِشَخْصِ الرَّبِّ يَسُوعَ.. واختَبَرَ أنسيموسُ في أحدِ سجونِ روما نِعْمَةَ اللهِ المُفَضِّلَةِ.^٢

لِنَتَأَمَّلْ مَعاً قولَ بولس الرسولِ في رِسالتهِ إلى فليمونِ عن أنسيموسِ: "ثمَّ إِنِّ ظَلَمْتُ بِشَيْءٍ أَوْ عَلَيْهِ ذَيْنِ فَاحْصِبْ ذَلِكَ عَلَيَّ أَنَا بولسُ كَتَبْتُ بِيَدِي أَنَا أوفى!". أوليسَ ذَلِكَ ما فَعَلَهُ الرَّبُّ يَسُوعَ مِنْ أَجلِنا نحنِ الخِطَاةِ إِذِ دَفَعَ الذَيْنِ الذي عَلَيْنَا على الصَّليبِ؟. ثمَّ كَتَبَ بولسُ الرِّسالةَ: "أنا بولسُ كَتَبْتُ بِيَدِي أَنَا أوفى!". وهذا ما فَعَلَهُ الرَّبُّ يَسُوعَ!.. فلقد سَالَ دَمُهُ الطاهرُ على الصَّليبِ مُسَطِراً عَلَيْهِ هَذِهِ الكَلِمَاتُ: "أنا يَسُوعُ كَتَبْتُ بِدَمِي أَنَا أوفى". ثمَّ كَتَبَ بولسُ الرِّسالةَ مُشيراً عَلَيْهِ أَنْ يَتَعَامَلَ مَعَ أنسيموسِ: "لا كَعَبْدٍ فيما بَعْدَ بل أَفْضَلَ مِنْ عَبْدٍ أَخَا مَحُوباً". ثمَّ يَقولُ بولسُ عَنِ أنسيموسِ: "الذي وُلِدْتُه في قِيودِي أَقبَلُهُ نَظِيرِي!. إِذِ أَنَا واثِقٌ بِإِطَاعَتِكَ كَتَبْتُ إِلَيْكَ عَالِماً أَنَّكَ تَفْعَلُ أَيضاً أَكْثَرَ مِمَّا أَقولُ". وَإِذَا بِاللِّصِّ الخائِنِ يَتَحَوَّلُ إلى رِجْلِ آخَرَ إلى أَخِ أَمِينٍ مَحُوبٍ عِنْدَ الرَّبِّ وبولسِ وفليمونِ.^٣

ليسَ المُهِمُّ الحَالِ الذي كُنَّا عَلَيْهِ بل المُهِمُّ ما نَحْنُ عَلَيْهِ الآنَ وما سَنَكُونُ عَلَيْهِ في الأَبَدِيَّةِ.. إِنِّ كُنَّا قَدْ عَشْنَا لِإِبْلِيسِ في عَهْدِ سَابِقٍ مُقَيَّدِينَ بِسِلاسلِ الخِطِيَّةِ وشَهَوَاتِ العَالَمِ فَالفرصةُ مُتاحةٌ الآنَ لِلعُودَةِ إلى أَحْضَانِ الأبِ السماوِيِّ.. يَقولُ الكِتَابُ: "اليومُ يومُ خِلاصٍ والوقتُ وقتٌ مقبولٌ فَإِنَّ سَمِعْتُمْ صَوْتَهُ فلا تَقْسُوا قُلُوبَكُمْ.. ليتك عزيزى القارئِ تَأْتِي إِلَيْهِ بِإِيمَانٍ تائباً معترفاً بِخِطَايَاكَ.. سَتَنالُ غُفْراناً وتَبْريراً وسلاماً عَجيباً وامْتِلاءً بِالرُوحِ القُدُسِ وبنوِيَّةِ اللهِ وحياةً أَبَدِيَّةً.. إِنَّ يوحناَ الحَبِيبَ يَقولُ: "انظروا أَيَّةَ مَحَبَّةٍ أَعْطانا الأبُ حَتَّى نَدْعَى أولادَ اللهِ".^٤

أَدْعُوكَ أَحَيُّ كى تَشْتَرِكَ مَعِي في تلكِ الصَّلَاةِ: أبانا السماوِيِّ.. أَشْكُرُكَ مِنْ أَجلِ مَحَبَّتِكَ لِي أَنَا الخاطِئُ غيرَ المُسْتَحِقِّ.. أَشْكُرُكَ مِنْ أَجلِ ما صَنَعْتَهُ لِخِلاصِ نَفْسِي.. في حَقِّ الدَّمِ الكَرِيمِ أسألكَ رَبِّي فَاقْبَلْنِي تائباً راجِعاً إِلَيْكَ.. رافعاً صَلَاتِي في اسمِ يَسُوعَ البارِ.. واثقاً من اسْتِجابَتِكَ يا مَنْ قُلْتَ: مَنْ يَقْبَلُ إِلَيَّ لا أُخْرِجُهُ خَارِجاً.

أخي القارئِ العزيزِ.. إِنَّ أَرَدْتَ سَماعَ تلكِ الرِّسالةِ أو غيرها سَتجدُ ذلكَ في:

<http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm>

^١ رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس ٦: ١٠

^٢ رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى غلاطية ٤: ١٩

^٣ رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى كولوسى ٢: ١٤

^٤ الرسالة إلى العبرانيين ٣: ٧ ، رسالة بولس الرسول الثانية إلى مؤمنى كورنثوس ٦: ٢ ، رسالة يوحنا الرسول الأولى ٣: ١